فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كونوا ربانيين"

التوبة وتعظيم الذنوب

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-100009.htm

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

تعظيم الصحابة والتابعين لذنوبهم

من أعظم ما يميز الصحابة –رضوان الله عليهم–، هو مدى تعظيم الصحابة لذنوبهم، ما كانش أبدًا الواحد من الصحابة ينظر إلى ذنبه على إنه شيء يسير محتقر، ولكن كان أعظم ما يميز هؤلاء الصحب الكرام، ومن جاء بعدهم مدى تعظيم هذا الجيل لذنبه، لدرجة أن أنس –رضي الله عنه– كان ينظر ذات يوم إلى التابعين –الجيل برضو اللي النبي قال إن هو من أفضل القرون على الإطلاق–..

يقول: "إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على زمن النبي –صلّى الله عليه وسلم– من الموبقات"، الذنب هو الذنب، ولكن مع تعاقب الأجيال، كان كل جيل بيبُص للجيل اللي بعده لِما وقع في ذنوب ومعاصي، فيرى إنّ هُمَّ بيعملوا أشياء عظيمة جدًّا، والجيل المتأخر يرى إن الأشياء دي يعني بسيطة، والجيل المتقدم يرى إن الأشياء دي موبقة.

كيف تنظر لذنبك؟ .. نظرتك لذنبك دليل إيمانك

ومما لا شك فيه أن من أعظم ما ينفع العبد في الدنيا، وينفعه في الآخرة هو تعظيم العبد لنفسه، بل إن شئت فقُل علامة الإيمان من النفاق هي مسألة نظرة العبد للذنب.

في صحيح البخاري أن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: "إنَّ المؤمنَ يرى ذنوبَه كأنه قاعدٌ تحت جبلٍ.." المؤمن دي عادته دايمًا، يرى ذنوبه كإن ذنوبه دي جبل وهو قاعد تحت الجبل، ".. يخاف أن يقعَ عليه، وإن الفاجرَ يرى ذنوبَه كذبابٍ مر على أنفه، فقال به هكذا" صحيح البخاري. بينشه كده، إنما المؤمن دايمًا مُعَظِّم للذنب.

حال الصحابة مع ذنوبهم

علشان كده سبحان الله كان لو نظرنا لأحوالهم، لو نظرنا لأحوالهم نجد إن حالهم مع الذنب عجيب، حتى وإن نزلت توبته من الله –عز وجل– تراه مازال مُعَظِّم لهذا الذنب، ويُحْدِث لهذا الذنب عمل حتى يوقن أن الله –سبحانه وتعالى– غفره له.

كيف تعامل عُمَر مع ذنبه؟

في صحيح مسلم، في الحديث الطويل، حديث صُلح الحديبية، عمَر ذهب للنبي –صلى الله عليه وسلم–، فقال "يارسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟" قال: بلى، قال: "فلِمَ نعطي الدنية من ديننا؟" ليه نعطي الدنية من ديننا؟ إلهنا حق وهم آلهتهم باطل، إحنا على الطريق الصحيح وهمَّ على الطريق الغلط، فلِمَ نعطي الدنية من ديننا، فعمر –رضي الله عنه– بعد ما راجع نفسه وحس إن هو يمكن طريقة الكلام ما كانش تَصِحّ إنّ هيَّ تكون كده مع النبي –صلّى الله عليه وسلم–، فقال عمر: "فمازلت من بعدها أُحدث لها صلاة وصيامًا وزكاةً حتى ظننت أن الله قد غفرها لي"..

كلمة عادية هو بيسأل النبي احنا ليه نعطي الدنية من ديننا، الحوار عادي، يا رسول الله إحنا على الحق وهُمَّ على باطل، طب ليه نعطي الدنية، عمر بيقول أنا الكلمة دي فضلت في دماغي كده، فضلت أُحدث لها صلاة وصيام.

وده فهمهم العالي للتعامل مع الذنب، إن أنا لو وقعت في ذنب خلاص ما أرميش إيديَّا وأقول أنا يأست خلاص، لا لا لأ، ده عمر بيقول أنا من بعدها قعدت أُحدث صلاة وصيام وزكاة، وأعمال خير حتى ظننت أو أيقنت أن الله –عزو جل– قد غفر لي هذه الجزئية.

يبكون حتى العمى ندمًا على الذنب.. فأين نحن من هذا؟

سبحان الله، قال الله –سبحانه وتعالى– في شأن أبي لبابة: "وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً" التوبة:102.

أبو لبابة و معاه 12 واحد من الصحابة تخلفوا عن النبي بلا عذر في غزوة تبوك، اتخلفوا عن النبي، ما طلعوش معاه الجهاد، فلما خرج النبي –صلّى الله عليه وسلم– هُمَّ شعروا بالندم، إحنا إزاي أصلًا نعمل كده؟ إحنا إزاي النبي يقول لنا اخرجوا وإحنا نفضل قاعدين هنا؟

فربطوا أنفسهم في سواري المسجد كانوا 9، وفي رواية 12، كل واحد منهم مسك عمود من عواميد المسجد وربط نفسه عليه، ولا زالوا يبكون على إن هُمَّ اتخلفوا عن أمر النبي –صلّى الله عليه وسلم– وما خرجوش للجهاد، فضلوا قاعدين يبكون حتى عَمِي ثلاثة منهم..

أنا سائلكم يا سادة بربكم: إيه الإنسان اللي يبكي على ذنب، إيه اللي كان في قلبه خَلَّاه يفضل يبكي على ذنب لحد ما ثلاثة من التسعة يتعموا؟ ثلث اللي كانوا موجودين يتعموا..

فلما جاء النبي –صلّى الله عليه وسلم– سأل مين الناس اللي رابطة نفسها في السواري؟ قالوا يا رسول الله أبو لبابة وأصحابه، قالوا وأقسموا ألا يحلهم أحد إلا أنت يا رسول الله، فقال تخلفوا عني وعن الجهاد معي؟ والله لا أحل وثاقهم أبدًا حتى يكون الله هو الذي يحل وثاقهم، الله لما اطَّلع على قلوب هؤلاء ووجد منها الانكسار اللي خلاهم يبكوا هذه المدة الطويلة لحد ما النبي رجع، وثلاثة منهم اتعموا، أنزل الله –عز وجل– براءتهم وتوبتهم "وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ" التوبة:102.

و"عسى" إذا وضِعَت في القرآن بجوار لفظ الجلالة فهذا على الجزم، أيْ أن الله تاب عليهم والله غفور رحيم، فخلاص خرج النبي –صلّى الله عليه وسلم– وحَلَّ وثاق الناس، وخلاص ربنا –سبحانه وتعالى– أنزل في القرآن توبتكم.

حتى بعد أن تاب الله عليهم يهبون كل أموالهم لله

قالوا ووالله يا رسول الله إن من تمام توبتنا، من تمام توبتنا أن ننخلع من أموالنا وأراضينا التي شغلتنا عنك، أموالنا كلها لله، فقال –صلّى الله عليه وسلم– أما أنا فلم أؤمر بشيء في أموالكم، فنزل قَوْل الله –عز وجل–: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا" التوبة:103.

طب هو دلوقتي أنا كواحد من هؤلاء التسعة ربنا خلاص أنزل براءتي، أنا خلاص ربنا تاب عليَّ ولكن انظر إلى انكسار القلب اللي يخلي واحد زي أبي لبابة والصحابة اللي كانوا معاه يقولوا لأ إحنا مش اللي شغلنا عنك فلوسنا؟ فلوسنا لله، مش اللي شغلنا عنك والجهاد معاك الأرض اللي إحنا ضحكت علينا دي؟ خلاص الأرض لله، الأرض لله، فتركوها كلها لله.

انظر إلى تعظيم قلوب الصحابة –رضوان الله عليهم– للذنب، وإزاي الواحد منهم كان بعدها بيعوض إذا أخطأ في يوم من الأيام.

تعجيل التوبة واجب ... احذر عواقب الذنوب

في صحيح مسلم من حديث أبي مسعود البدري –رضي الله عنه– قال: "كنتُ أضربُ غلامًا لي.." عبد عنده ومن حق السيد إنه يأدب العبد اللي عنده، قال: فلما هممت بالسوط لأضربه "فسمعتُ من خلفي صوتًا اعلم أبا مسعودٍ، للهُ أقدرُ عليك منك عليه. فالتفتُّ فإذا هو النبيُّ صلى الله عليه وسلم.." قال فوقع السوط من يدي، الكرباج اللي كان معايا اللي هضربه بيه وقع من يدي..

"فقلتُ: يا رسولَ اللهِ هو حرٌّ لوجه اللهِ تعالى.." مش ده غلط؟ خلاص أنا ليس عندي شيء أفعله علشان أكفر عن الذنب اللي أنا عملته الآن، إنّ أنا رَوَّعته، يا رسول الله إلا أن يكون حُرًا لوجه الله –عز وجل–، فقال –صلّى الله عليه وسلم–: "قال: أما لو لم تفعل للَفَعَتْكَ النارُ" صححه الألباني.

راجل مُعظم لذنبه، سهل يسير عليه خلاص إنت حر يا ابني، انتهت المسألة، ليه؟ راجل شايف الذنب إنه ممكن في لحظة من اللحظات الذنب دا ينفجر فيه يضيعه، يفسد عليه دنيته أو يفسد عليه آخرته.

عظموا الذنب فسادوا عند الله عز وجل

سيدنا أبو بكر الصديق –رضي الله عنه–، مر عليه النبي –صلّى الله عليه وسلم– ذات يوم وهو يلعن عبيدًا له فقال –صلّى الله عليه وسلم–: "لعَّانين وصِدِّيقين كلَّا وربِّ الكعبةِ" صححه الألباني، يعني تبقى صديق وبتعلن؟ هو كل اللي عمله الصديق إنه شتم العبد اللي عنده؛ فالنبي –صلّى الله عليه وسلم– بيقول له إنت بتلعن وصديق؟ لعانون صديقون؟ ما يجوش مع بعض، فقال أبو بكر –رضي الله عنه–: "يا رسول الله هم كلهم أحرار لوجه الله"، المسألة

انتهت، ده واحد معظم للذنب، واحد بيتعامل مع الذنب دايمًا إنه إحنا خايفين من دي، فتكون النتيجة إنه سهل عليه جدًّا إنه يقول خلاص يا رسول الله هو حر لوجه الله، ده مجموعة كبيرة! هم أحرار يا رسول الله لوجه الله، دي الناس اللي عظمت الذنوب فبالتالي يعني سادوا عند الله –عز وجل–.

أبو بكر يتقيأ الطعام حتى تخرج أنفاسه خشية الحرام

أبو بكر كما في صحيح البخاري كان له عبد وكان أبو بكر يبعت العبد ده يشتغل ويجيبله الطعام والشراب، ويأكل أبو بكر الصديق، فجاء ذات يوم أبو بكر –رضي الله عنه–، فجاءه هذا العبد بطعام فأكل أبو بكر الصديق الطعام، فبعد ما أكل الطعام بيسأله إنت جبت المال ده منين؟ قال: "مالٌ كنت قد تكهنت به في الجاهلية"، في الجاهلية عملت نفسي كاهن وأجبرت ناس وبعد كده ما ادونيش الفلوس، قابلوني النهارده أخدت الفلوس..

فوضع أبو بكر –رضي الله عنه– خشية أن يدخل في جوفه مال حرام، فوضع يده في فمه ولا زال يُخْرِج ما أكل، قال: حتى ظننا أن أنفاسه ستخرج مع الأكل، من كُتْر ما هو عَمَّال يجيب من جُوَّا حَسِّينا إن هو هيموت، خشية إن في يوم من الأيام يكون فيه مال حرام دخل في جوفه –رضي الله عنه–.

توبة سهيل بن عمرو

لا يخفى عليكم حديث الغامدية وحديث ماعز اللي لما تابوا إلى الله –عز وجل– كانت توبتهم توبة نصوح لا يتخيلها عاقل، لا يخفى عليكم إن سهيل بن عمرو –رضي الله عنه– قبل الإسلام طبعًا هو اللي كان كتب عقد الحديبية فاكرين؟ فاكرين لما النبي شافه قال سهل أمركم، وجه سهيل بن عمرو اللي هو ابنه أبو جندل، أبو جندل ده عشان أوضح لك أبو سهيل كان عامل إيه في الجاهلية؟

ابنه أسلم اللي هو أبو جندل فلما راح مكبل كده في الحديد ورمى نفسه للنبي وأصحابه، قال له الحقني يا رسول الله أبويا بيعمل وبيسوي، فقام فنكزه في وجهه، ضربه بالبونّية في وشه كده، خدت بالك، ثم بعد ذلك قال يا محمد وهذا أول من أخاصمك فيه..

سهيل بن عمرو ده لما أسلم بعد كده، ولسه إيده في إيد النبي عظم اللي هو عمله زمان، فقال له: "يا رسول الله عهد بيني وبينك ألا أزر نفقة كنت أنفقها قديمًا ضد الإسلام إلا وأنفقت مثلها بل وضعفها في الإسلام، وألا أقف موقفًا كنت أقفه في الجاهلية إلا وقفت مثله في الإسلام".

عِكْرمة يتدارك خطأه ويُعَظِّم ذنبه

عكرمة بن أبي جهل –ونختم بهذا المثال–، عكرمة بن أبي جهل أبوه مين؟ أبو جهل، وورث العداوة للدين وللإسلام من أبوه، ولما أبوه قُتل في بدر بقى مسألة العداوة للإسلام مش مجرد وراثة ده أخْذ ثأر كمان، مع الوراثة ثأر، هو اللي قَلِّب المشركين على النبي في أُحُد، وقلّبهم على النبي –صلّى الله عليه وسلم– في غزوة الأحزاب، وعمل شوية حاجات في الأحزاب كده كاد إن هو يفتك بالدولة الإسلامية في غزوة الأحزاب..

وسبحان الله شاء الله –عز وجل– إنه يهدي قلب عكرمة بن أبي جهل، عكرمة بن أبي جهل ده اللي بعد إسلامه يُعَظِّم أوي ذنبه، فلا زال من بعد ما أسلم سيفًا للإسلام على رقاب أهل الشرك، يقاتل في سبيل الله –سبحانه وتعالى–، ويقول للنبي: "والله يا رسول الله لأقاتلن بكل موقف وقفته ضدك في الجاهلية بموقف مثله في الإسلام"، أنا هجهتد إن كل اللي عملته زمان يتصلح النهارده، والنبي –صلى الله عليه وسلم– يبايعه على الإسلام، ولا زال –رضي الله عنه– يقاتل حتى مات في معركة أجنادين أو في معركة اليرموك كما يذكر بعض أهل العلم.

ثلاثة أمور لا تنساهم أبدًا بعد الذنب

يبقى دول ناس عَظَّموا أوي ذنوبهم، فبالتالي كانوا بيعملوا ثلاثة حاجات ما ننساهمش:

1. هي مسألة التعظيم القلبي ما احتقروهوش، لإن ممكن الذنب ده لعل تكون الخاتمة السوء بسببه، أعظمه أوي.
2. أستغفر إلى الله –عز وجل– وأتوب إليه وأعزم إن أنا ما أرجعش للذنب تاني.
3. إن أنا أقدم الأعمال الصالحة التي بها يغفر الله –سبحانه وتعالى– بها ما قد كان..

زي ما عمل سهيل بن عمرو قال له أنا أنفقت في الجاهلية أنا هنفق في الإسلام زيها، أنا وقفت في الجاهلية ضدك أنا هقف في الإسلام معاك، خدت بالك؟ وزي ما عمل عكرمة، وزي ما عمل أبو بكر خلاص هُمَّ أحرار، وزي ما قال عُمَر أنا أنفق وأُحْدِث صلاة وصيام وزكاة لِمَا كان..

أنا صليت الأربع ركعات بس أنا رجلي وجعتني بس هكمل بردو، والله أنا رجلي وجعتني، الله المستعان، ربنا يحفظكم يارب فيكم الأمل إن شاء الله، البنات الصغيرين دول والأطفال دول ربنا يكرمهم، وفيكم الأمل إن شاء الله بإذن الله.

إذًا ثلاث حاجات:

1. الندم الدائم في القلب. 2. استغفار دائم على اللسان، 3. عمل دائم بالجوارح والأركان.

أسأل الله –تعالى– أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36